

حين يستهلكنا الاستهلاك

الكاتب



محمد القبيسي

في زمن أصبحت فيه الإعلانات تحيط بنا من كل اتجاه، لم يعد الاستهلاك مجرد تلبية للاحتياجات، بل تحول إلى ثقافة تتحكم في قراراتنا اليومية، نحن لا نشترى فقط ما نحتاج إليه، بل نجد أنفسنا نقطن أشياء لم نخطط لها، مدفوعين برسائل تسويقية تقنعنا بأنها ضرورية، هذا التأثير لا يحدث صدفة، بل هو نتيجة استراتيجيات مصممة للتأثير على عقولنا، تجعلنا نعتقد أن بعض المنتجات تمنحنا قيمة إضافية أو تعزز صورتنا أمام الآخرين، فالمشكلة لا تكمن في الاستهلاك نفسه، بل في الطريقة التي أصبحنا نستهلك بها، حيث فقدنا القدرة على التمييز بين ما هو ضروري وما هو مجرد رغبة لحظية.

لم يعد الشراء مجرد عملية تجارية، بل أصبح وسيلة للتعبير عن الذات، وهذا ما تستغله الشركات، حيث تربط بين الاستهلاك والسعادة، فتقنعنا أن امتلاك منتج معين سيغير حياتنا أو يمنحنا شعوراً بالرضا، رغم أن هذا الشعور غالباً ما يكون مؤقتاً، فبمجرد زوال الحماس الأولي، نبحث عن شيء جديد لإعادة إحياء ذلك الإحساس، لنجد أنفسنا عالقين في حلقة مفرغة من الرغبات غير المنتهية، ومع الوقت، يتحول الأمر إلى عادة يصعب التخلص منها، حيث نجد أنفسنا ننفق أكثر مما نملك، ونشترى أشياء لا نحتاج إليها لمجرد أن الجميع يفعل ذلك.

هذا النمط من الاستهلاك المفرط لا يؤثر فقط في الأفراد، بل يمتد إلى المجتمع ككل، حيث يزداد الإنفاق على الكماليات على حساب الضروريات، وتتراكم الديون بسبب الرغبة في مجاراة الاتجاهات السائدة، اليوم، أصبح امتلاك الأشياء معياراً غير مباشر للمكانة الاجتماعية، مما يخلق ضغطاً مستمراً للإنفاق حتى لو لم تكن هناك حاجة حقيقية، لذلك إن هذا النمط من الاستهلاك لا يضر جيوبنا فقط، بل يضر الكوكب بأسره، حيث يؤدي إلى زيادة المخلفات والتلوث واستنزاف الموارد.

لكن هل يمكننا التوقف عن هذا النمط الاستهلاكي؟ الخطوة الأولى هي التمييز بين الحاجة والرغبة، وطرح سؤال بسيط قبل كل عملية شراء: هل سأستفيد حقاً من هذا المنتج، أم أنني أشتريه فقط لأنه مُغرٍ؟ يمكن أيضاً تجربة تأجيل الشراء

ليوم أو أكثر، فغالباً ما تتلاشى الرغبة عند غياب الدافع اللحظي، والتركيز على الجودة بدل الكمية، ووضع أولويات واضحة للإنفاق، والتوقف عن اعتبار التسوق وسيلة للسعادة، كلها عوامل تساعد في بناء وعي استهلاكي أكثر اتزاناً، علينا أن ندرك أن السعادة لا تأتي من امتلاك المزيد، بل من تقدير ما نملك بالفعل، فالرضا لا يُشترى، بل ينبع من الداخل، في النهاية، القرار بأيدينا: إما أن نكون أنكياء في استهلاكنا، أو نترك النزعة الاستهلاكية تتحكم في حياتنا دون وعي.

uaeall@hotmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2025.